الثالثة بعد الزوال

تسبقها نبوءتها ظهرت بعد تتابع خفوت الأضواء، حفر الضوء الأبيض الساقط بزاوية مائلة تضاريس الساحة وعنقود الأعناب المتدلية من أعلى قمة حتى السطح، سطح الأرض، أزاحت بيديها كراديس الصفوف الواقفة ناظرة لوقع خطواتها القادمة من خلف الأستار، كان المشهد لوحة رسام أجاد الألوان ورسم خطوات التبديل بين الأضواء، عقب بكائها الحى أمام الجمهور قفزت من عمد مصبوبة وترامى شعرها وكأنه سيل قالت فى شبه الغيبوبه: الخبر لأذنى مسموع ومن يأتى إلى لا يندم، مع قرب مولد نجم سهيل رفعت أستارا عن قبه سماوية تتحرك فيها أضواء النجوم بحرية، كانت تتكهن فى صمت وتدور وكأنها قد اندمجت حقا فى الدور، هذا المشهد كلفنا الكثير جدا حتى يعرض بهذا الشكل، تعاركنا بسببه أكثر اوقات البروفات، وتحفزت للأخطاء، للهفوات، كانت تعرف أنها نزعت منى نصف الإعجاب وها هى فى ليلة الافتتاح تنتزع الباقى مع تصفيق حضور ضخم، تطمس بدايات الحكايات فى ذاكرتى دوما على أن بدايتها كانت أسطورة، حفرت إخدودا ناتئا فى الأفكار عقب الجولة الأولي، معلوماتى إنك اشتركت فى أكثر من عرض درامى وعرض عليك مسلسل

ورفضتيه، أليست هذه رعونة منك وأنت نصف مشهورة.. تخطت الفاصل بيننا بتحفز: لى شروط فى العمل الذى أوافق على تمثيله أنا لا أخرج مع المخرج أو المنتج أو النجم، لا أسهر بعد العرض لا أشرب إلا الشاي، طاب لى التحدى وقتها: بعضهن يقلن ذلك ويفعلن العكس الأمر بيدك لو التزمت، أوافق، التحدى يقتل الملل والتجربة تثبت أو تنفى حتما بعض الأشياء، جلست تتكئ على معصم تشوه بدماء وقروح وكأن جليدا غطاها جمدت تمثالا بغير الروح، جازت بيديها فضاء السور وتسلق عفريت المشهد، حز رقبتها بالسيف فى نصف مسافة بين اللحظة والرؤية البصرية للجمهور، اظلام، موسيقى نهاية اول فصل، همسات الصالة، عرض مبهر، عرافة أو كاهنة المعبد انتزعت منا تصفيقا حادا، فرق كبير بينها وبين الباقين، ما اسمها أو تعرفها، اسأل ذلك الواقف فى الظلال، أو احدا من الأوركسترا لابد لنا من معرفة الاسم، وفى الحال، تداول الصف الأول والثانى اسم بطلة عرض اليوم، لام ياء، لام وياء، مجموعة أو متفرقة لا فرق عندى كان المشهد حين فتح ستار الفصل الثانى فى غير أوضاع المتوقع، أصرت أن تفعل نفس الحركات التى شطبتها فى البروفات ممثلة سيئة تلك التى تتحدى دكتاتورية المخرج، لو مر العرض بسلام، سأكتفى باللوم والتقريع رغم أن زميلها فى المشهد يبدو عليه إنه يريد أن يخنقها ويلقى بجثتها للجمهور غنت فى ايقاع حلو: المرء لا يوقف قدره وإن قلد سيفا ودروعا إن جد الشر لا تغني.. أسوار قلاع صروح.. تلك الأسطورة

عربية.. قبلنا بالأجر المدفوع.. تابعت النظر فى الأوجه، يمينا ويسارا وحتى للخلف، وقع الكلمات على الصف، انتزعت بعض التصفيق والبعض عبر بالآهات وبالصوت اجتازت مشهد الذروة بنجاح، سرحت كم ليلة عرض تلزمنا حتى نلملم تكاليف الإنتاج، اليوم معركة فاصلة، لابد أن تواتينا الأجواء، انزلقت فتاة استعراض فى المشهد، بدأت أتابع مشهدا جديدا لم يكن فى المسرحية، ها هى لمياء تقيمها وتدخل معها فى حوار بعيدا عن النص، ماذا تحاول هذه المخبولة، خداع الجمهور وايهامه انها ليست سقطة.. أو تنجح فى ذلك، تلك المغامرة قد تفشل العرض كله مرت لحظات عصيبة اتقلب على الكرسى فى أوضاع غريبة، أنا أعلم إنه ليس خيارها، كان يكفيها أن تشيعها بحركة كوميدية أو كلمة وينتهى الوضع، مرت الأحداث وعدنا للسياق الطبيعي، أنا لا يعنينى الآن أن أحس الجمهور أولا.. الواضح إنها تسيطر على كل شيء.. هذا خطأى أنا حين قررت متابعة العرض من الصالة وليس من الكواليس.. ماذا كنت سأصنع وقد دعوت أناسا ذوى شأن، كان ينبغى أن أتصرف بقاعدة المكوك، قليلا هنا وقليلا هناك، نعم مازال على النهاية فصل كامل، أستطيع أن أصعد لهم بين الأشواط، الستارة تنزلق، استعد للمغادرة، يوقفنى تصفيق حاد من الحضور، العمل يعجبهم حقا، هل أذهب، أخاف إن ذهبت وتدخلت أن أخرجهم من الحالة الفنية التى تصعد بهم إلى النجاح، لا سأبقي.

تجانب الضيوف حولى الكلام.. أحدهم مال على وهو يقول: ما رأيك أن نصور العرض التالي، وجمت للحظات، سارع بتقديم بطاقته التى تعرفه بأنه منتج سينمائي، وما علاقه هذا بالسينما، لم تفهمنى كاميرات تصوير ديجيتال، إضاءة سينمائية مخرج تصوير متميز ثم اسطوانة مسجل عليها المسرحية ثم.. أكملت: عرض على القنوات، مضبوط، حسنا شرفنا بعد العرض لمناقشة التفاصيل المالية، لم أخف سرورى بالمحادثة وأذعتها بين المحيطين حيث سرت همهمات تشجيع لكلينا بدأت الجولة الثالثة بقوة وقفت لمياء تقاتل لدقيقتين فى مشهد أسطوري، زرقاء اليمامة تدفع ثمن المعرفة.. لاترضى أن يأخذوها حيه.. أريكم ما لا ترون وأعرف منذ بداية عهدى إنى أموت، المرة تلو المرة بين جريد الصحاري، وأقطع شوطا طويل الدلاء أكون شتاتا وأعصى الفناء، صرخاً تنادى فيها الحياة، ضمنا تجيبك حم القضاء وجاءت المشاهد متتابعة وبدأت أعصابى تتوتر، مشهد النهاية صعب وبدأت أنغام الخلفية والصوت القادم من بطن التاريخ يطن، حملاً ثقيلاً يوشك إن يوضع على الأعناق، انفعل الناس وجززت على الشفة السفلية، تأبى القطع، شد اليد بقوة وانفصلت يد الزرقاء ودارت لمياء وكأنها مصروعه حقاً دورات فرقت الدم على الإنحاء.. آه يازرقاء الموت يحاصرك مهما فعلت، أجهزوا عليها وسمعت الأهات من وسط الصالة ومن الأنحاء، أجادت تمثيل الموت والطعنات، حملوها مقطعة الأجزاء، كدت أقوم لأراها فالمشهد فى قمة حتف، اصبر فالوقت شارف على الانتهاء،

ستراها وهى تحيى الجمهور، وقد كان، أصر الناس أن أصعد مع أبطال العرض، مدت يدها تساعدنى على بلوغ الخشبة، كانت هناك أثار جروح عولجت على عجل على ذراعها، أصيبت حقاً وهى تؤدى والدم تفرق بين الجد والزيف، بحرص ورقة أمسكت اليد المجروحة وقدتها نحو الجمهور، كان يغمرها شعور ما بالأشجان وباللوعة وكانت تبكى فى حرقة، مشهدها الأول فيه بكاء، الفارق أن الأخير بكاء الفرحة بحرص شديد وضعت كفيها بين يدى وقبلتها قبلة.